متى يعود لحياتك نشيدها؟

" وعند ابتداء المحرقة ابتدأ نشيد الرب "

(٢ أخبار ٢٩:٢٧)

عظة ألقاها الدكتور ف. ب. ماير

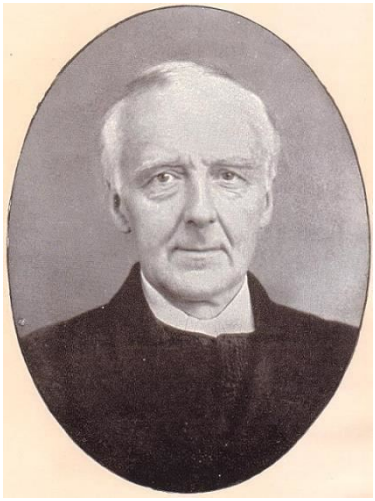

Born: April 8, 1847- **Died:** March 28, 1929

إن الفرح الفائض هو المميز الأول لديانتنا المقدسة - فرح لا ينطق به ومجيد. ومثله في الديانة الحقيقية، مثل النضرة في وجه عذراء طهور دليلا على الصحة التامة. وإذا ما خلت الحياة من الفرح كان ذلك برهانا على وجود خطية فابحث إذن عن السبب الذي حدا بك إن تعلق عودك على أغصان الصفصاف وتَبين علة انقطاع الفرح من حياتك. يقول السيد " كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم " (يوحنا ١١:١٥) فإذا لم يكن فرحك كاملاً فإنك لم تعرف عمق معني كلام السيد عن الكرمة والأغصان.

يقول الكتاب أن « ثمر الروح فرح » (غلا ٥:٢٢) ومعلوم أن الثمر شيء طبيعي للغصن إذا كان متصلاً اتصالا وثيقا بالأصل. فإذا ما كانت صلتنا وثيقة بالرب فالفرح يكون أمرا طبيعيا في حياتنا مثل التغريد للطير.

هل ديانتك كاسفة حزينة؟ وإذا ما أقبلت علي جماعه هل وجودك يكون مبعث كمد أم سرور؟ وهل أنت عامل مهم في إسعاد المجتمع؟

منذ سنين زار صديقي الدكتور "هاندلي مول" الأماكن الأثرية في **روما وفيما هو ويزور مكانا كانوا يزيلون الأنقاض حوله وإذا بالمياه تتدفق بشدة من نبع ظل كل تلك الأجيال مسدودا. فإن كنت مؤمنا كئيبا فابحث عن الأتربة التي خنقت ينابيع السعادة والفرح في قلبك.**

وإذا رجعنا إلى آيتنا وجدنا أن كلمة «ابتدأ» تعني النشيد انقطع. وإذا طالعنا الأصحاح السابق وجدنا أن نشيد الرب لم يصعد من أفواه اللاويين مدى ستة عشر سنة. وتلك الردهات التي كانت تتجاوب بأناشيد السرور أيام البهجة قد انقطعت. وهذا مثل قلبك بالتمام لأنه كان يجب أن يتجاوب بأناشيد الحمد للرب ولكنه صامت لا يسمع فيه نغمة سرور.

علة الصمت

ماذا حدث خلال الستة عشر سنة؟ بالرجوع إلى (٢ أخبار٢٨:24) نجد أن احاز الملك جمع آنية بيت الله وقطع آنية بيت الله وأغلق أبواب بيت الرب وأسخط الرب إله آبائه وهناك عششت الطيور في المذبح المهجور والطيور بنت أوكارها في ديار الهيكل وانقطع المصلون والكهنة عن المقدس.

وإذا بتغيير يحدث والذبيحة تقدم بعد ست عشرة سنة ونشيد الرب يبتدىء بعد هذه المدة ملك حزقيا وفي السنة الأولي من ملكه بل في الشهر الأول فتح أبواب بيت الرب ورممها. وأدخل الكهنة واللاويين وجمعهم وقال لهم اسمعوا أيها اللاويون. تقدسوا الآن وقدسوا بيت إله آبائكم واخرجوا النجاسة من القدس». هذا أول ما يجب عمله.

بل هذا هو نداء الرسول بولس " لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح " (كو ٧:١). لقد أخرجوا كل النجاسة التي وجدوها في هيكل الرب. فهل تخرج النجاسة الكامنة في المحراب الداخلي من روحك وقلبك؟ ثم قَدموا ذبيحة الخطية تكفيرا عن ذنوبهم.

كنائسنا

لنطبق أولا هذه الحقائق علي كنائسنا. لا شك أنكم تتشوقون إلى نهضة تتناول حياتنا فتعزل الزيف والزغل من تديننا وتعم هذه النهضة بيوتنا وقلوبنا فتمتلىء بالتسبيح للرب. إني أدعو الشيوخ والشمامسة والقادة في كنائسنا أن ينبثوا في أعماق الحياة الداخلية الروحية ويخرجوا كل نجاسة ليطرحوها بعيدا، ويرفعوا أكوام أتربة العالم التي تراكمت على النفس ليرجع إلى الشهادة لمعانها ورونقها. .

قابلني أحد خدام الله المتقدمين في السن منذ بضع سنين وروي الي هذه القصة من تاريخ حياته، قال: «نشأت تحت كرازة (تشارلز فني) وبعد أن تخرجت من معهد اللاهوت عينت في بقعة نائية استولى عليها الضعف والانحلال ولم تظهر أي بادرة للنهضة أو عمل الروح القدس فيه عدة سنين. جمعت بعض الأتقياء وخصصنا مساء كل يوم جمعه لنصلي لحدوث نهضة مواظبين على ذلك مدة سنة وربع. ولكن السماء كانت تبدو كأنها نحاس من فوقنا. ولما جاء الخريف عينت يوما للصلاة المتحدة. فرح قلبي لما كنت أرى الفلاحين يأتون جماعات جماعات بعائلاتهم وأولادهم لحضور الصلاة حتى ضاقت بهم المدرسة الملحقة بالكنيسة. عرفتهم الغرض الذي من أجله اجتمعنا للصلاة ألا وهو النهضة وبعد الترانيم الافتتاحية والصلاة ساد صمت عميق وإذا بشيخ من المتقدمين يقف ويقول معترفا أنه طالما هو والأخ جونس كانا متقاطعين متخاصمين فلن تكون هناك نهضة.

ثم غادر مقعده وتقدم في الصف إلى حيث كان يجلس الأخ جونس وصافحه طالبا أن يتغاضى عن الماضي ويسامحه لأنهما لم بكلما بعضهما طيلة الخمس سنوات الماضية. ثم رجع الشيخ إلى مقعده وجلس وإذا بدموع التوبة تنسكب من عيون الحاضرين، وساد الصمت مرة أخرى وإذا بشيخ آخر يقف ويقول: أيها الراعي. إني أرى أنه لن

تكون نهضة طالما أتكلم في وجهك كلاما ومن خلفك كلام آخر، فأطلب الصفح. ثم تصافحا وساد الصمت مرة أخرى. ثم أخبرني الخادم أنه شاهد بعد ذلك أغرب حادث في حياته إذ ظل الجمع يتسلل من هنا وهناك ليصلح ما كان بين الواحد والآخر ثم بدأ الرب يفتقد الكنيسة. وكان بجوار الكنيسة مصنع حضر عماله ليروا ما حدث في تلك الكنيسة من نهضة فبشرهم الخادم بإنجيل الخلاص بطريقة بسيطة جعلت أربعة من زعماء الشرفي تلك المصانع المجاورة يسلموا حياتهم للرب وانتشرت نيران النهضة في تلك البقعة قرابة ثلاث سنين.

(رويت هذه القصة في لندن ووانـدزورث) بإجلترا وقد قال لي أحد الخدام أن أحد الأعضاء كان مديناً له بخمسة جنيهات جاء إليه وقال: أرجوك أن تصفح عن تأخيري في الدفع وغدا سأدفع المطلوب مني».

يجب أن نرجع إلى القواعد الأولية. ومن هذه القواعد أن مقدار ما لنا من علاقة بالله يتحكم في علاقتنا بمن هم حولنا من بني جنسنا. هل يوجد في حياتنا شيء من الحسد والغيرة لا سيما بين راع وراع وأن نكره نجاح الآخرين؟ أمستعدون أنتم أيها المسيحيون أن تصفحوا بعضكم لبعض وفي أعمالكم أن تطرحوا كل ما يخالف مشيئة الله. هيا إذن وتصافح بل اكتب ذلك الخطاب وادفع المبلغ واترك العامل الأول في ذلك التنابذ ولتملأ قلبك محبة الله وعندئذ يبدأ الفرح.

العمل في القلب

الآن أجابهك بأهم سؤال: هل تكمن في قلبك أية خطية خفية؟ إن الفرح ابتدأ في حياتي ذات ليلة مأثورة حينما ركعت أمام المسيح ونور روحه القدوس اتجه إلى شيء نجس في قلبي بالذات. لقد قضيت مدة من الزمن غير مستقر حتى قابلت شاباً حضر إلى كنيستي ووعظ فيها فصرت أحس أنه يمتلك سراً ينقصني وفي الصباح ذهبت مبكراً إلى منزله وكنت

أعرفه جيداً فصعدت إلى حجرته واعتذرت لحضوري في ساعة مبكرة وعرفته باضطراب .حياتي مع أني مسيحي والناس يتوقعون فوائد كثيرة مني فإني أشعر بقلبي الأثيم ورجوته أن يرشدني إلى سر قوة حياته.

استطعت أن أعرف من الشمع أنه استيقظ مبكراً جداً فأخبرني أنه نهض من الساعة الرابعة صباحاً فسألته ماذا كان يعمل فأجاب أن الله يقول: " من يحبني يحفظ وصاياي" ثم أردف قائلاً: كنت أراجع وصاياه لأعرف هل حفظتها، فقلت أريد أن أعرف سر قوتك فأجاب:

لا أملك شيئا لست تملكه. فقلت: ولكن كيف يمكنني أن أسلك وفق هذا المستوى؟ فقال: هل سلمت ذاتك تسليماً كلياً للمسيح؟ فقلت: نعم غالبا. فقال إذا لم تكن فعلت هذا فاذهب منفرداً وقرر الأمر بدون تردد.

في تلك الليلة ركعت بجوار سريري وأغلقت الباب وعزمت ألا أنام حتى أقرر الأمر وأسلم كل شيء ليسوع. وكأن يسوع كان يحاربني وكأني أخذت حزمة المفاتيح الكبيرة التي كنت أحتفظ بها عادة في البيت. فأخرجت منها مفتاحا صغيرة احتفظت به وقدمت الحزمة قائلا:"ها هي مفاتيح حياتي". فنظر إلي نظرة أسى وأسف وقال: « هل هذه كلها؟ » فأجبت: كلها إلا مفتاح صندوق صغير جدا لا يهم.. فأجاب: « يا بني إذا لم تأتمني على كل شيء فخير لك ألا تثق في ».

وكان الشيطان يهمس في أذني:" لا تفرط في هذا المفتاح. لأنك إذا تركت المسيح يأخذ طريقه إليك فأنت لا تعلم إلى أي مدى يقودك. لا تعطه المفتاح". وعندئذ تذكرت ابنتي الوحيدة التي كانت في ذلك الحين ضالة. فقلت لنفرض أنها رجعت إلي وقالت " يا أبتي ها أنا أعطيك حياتي كاملة فاختر ما تشاء لي " هل أدعو أمها وأقول: ها هي فرصتنا لنعمل كل ما في وسعنا لنشقيها ونتعبها؟ كلا بالعكس نعمل على إسعادها وغبطتها. والمسيح لن يكون أقسى علي مني على ابنتي. وأخيرة قلت " يا سيد لا

أقدر أن أقدم المفتاح ولكني راض أن تأتي إلي وتأخذه " فكان ما كنت أتوقع. بدا كأني مددت يدي فجاء وفتح أصابعي المطبقة وأخذ المفتاح مني، وذهب توا إلى الصندوق ففتحه ورأى هناك شيئا فظيعا رهيبا وهو ما كنت أخشى أن يراه.

ثم قال " هذا الشيء يجب أن يذهب. لا تعود تسير في هذا الطريق أبدا " وفي ذات الوقت الذي أخذ فيه المفتاح مني أزال الرغبة لذلك الشيء فابتدأت أكرهه. حينئذ سلمت ذاتي كلية إليه وقلت " من هذه الليلة أريد أن تفعل ما تريد بي ".

وفي الصباح التالي كنت أتوقع أن يكون عندي إحساس بفيض الفرح والبهجة فلن أكف عن الهلليلويات ولكني كنت هادئاً ساكناً كما أنا الآن، مع فارق واحد وهو أني كنت أشعر بسرور أني ملك للمسيح وكررت في ذلك اليوم نحو مائة مرة هذه الكلمة " إني له إني بجملتي له ".

أيوجد في طيات نفسك الداخلية شيء تخفيه، يشوه جمال حياتك بل رائحة الشيء الكريهة تصعد فتمحو عوامل الفرح والسعادة في عيشتك؟ واجه حالتك بصراحة ،. من الغباوة أن يكون المرء مريضاً برئتيه ويخاف أن يذهب إلى الطبيب لئلا تظهر حقيقة علته. هل هناك أي شيء في سريرتك لا تريد المسيح أن يطلع عليه. دعه يفحصك فحصا دقيقا لينقيك منه وبعدئذ تتمتع بغني بركاته.

ابتداء النشيد

تتبع سياق القصة. لقد جهز حزقيا المذبح. فعلى جانب المذبح ذبيحة المحرقة وهي تمثل موت المسيح وتكريس المؤمنين، وعلى الجانب الآخر اللاويين بملابسهم البيضاء وبيدهم آلات العزف والقيثارات. وعند بدء الإشارة ابتدأت المحرقة وحالاً ابتدأ النشيد. سكتت السماء لتسمع صوت النشيد يعود مرة ثانية بعد انقطاعه من عشرة سنين.

زرت أعزب من وقت قريب، وعادة الأعزب يكون منطوياً على نفسه متبرماً كاسفا. ولكن هذا الشخص كان يسكن في بيت فخم وكان من أحب الشخصيات التي تجلب الفرح إلى النفس. وبعد العشاء قلت: يبدو أنك سعيد. فأجاب: « نعم وسأروي لك قصتي.. منذ بضع سنين، كنت أجري وراء المال فاخترت حياة العزوبة لأتحرر من

هم الزوجة والأولاد. ومع هذا فلم أحصل على السعادة. بعد ذلك مات أخي وكان فقير معدم. ولكنه ترك عائلة كبيرة وأولاد فكان همي أن أعتني بهم وأوفر لهم أسباب الراحة وأخيرا جمعتهم هنا في منزلي ليكونوا تحت رعايتي. خيل إلي في باديء الأمر أني سأفقد سلام حياتي. أقول لك في الأسبوع الأول كان أمراً متعباً لي أن أرى هذا العدد من الأطفال يملأون البيت صباحا وركضاً ولعباً. ولكن طفولتهم انتصرت على كبتي وانطوائي فأحسست بقلبي ينجذب انعطافاً إليهم. ثم أرسلتهم إلى المدارس وكنت أباً وأماً لهم. والآن قد تزوج اثنان منهم. وإني أؤكد أنه لا يوجد إنسان على أرض الله الواسعة أسعد مني. عند ابتداء المحرقة ابتدأ النشيد. إن الحياة المركزة على الذات والأنانية هي أشقى حياة. ذلك الرجل لما ابتدأ يضحي بنفسه حلت السعادة على حياته.

إذا كانت حياة البذل حلوة وعذبة كأن تعيش زوجة وفية لزوج مفلوج لا تفارق الترنيمة شفتيها لأنها الكل في الكل له فماذا يكون شأن حياتك حينما يكون الكل في الكل ليسوع. فأطلب إليك برأفة الله أن تقدم جسدك ذبيحة حية - لا ميتة - مقدسة مرضية عند الله.

عبادتك العقلية. لا تشاكل هذا الدهر بل تغير عن شكلك بتجديد ذهنك لتختبر ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة. كم من المرات كنت أقاوم إرادة الله؟! كنت أظن أنها قاسية مريعة ولكني اختبرتها فوجدتها صالحة مرضية كاملة عندما تتفرس في وجه المسيح تهتف: « ربوني الذي تفسيره يا معلم » فينساب في حياتك نور القيامة، واشراق الفرح، وسعادة السلام. هيا انزع - بعون الله - كل نجاسة من القدس، وعندئذ يبتدىء نشيد الرب في نفسك.

من كتاب اشهر المواعظ الجزء الرابع – الرب يستخدم هذه العظة لمجد اسمه

تنسيق وترتيب الأخ/ صفوت زكي سمعان